الصوف في العراق القديم

م.م. رشا عبد الوهاب محمود

جامعة سامراء / كلية الاثار

الخلاصة :

لقد خلق الله تعالى الإنسان وكرمه باللباس في الجنة (لسيدنا ادم عليه السلام وزوجه)وبعد ان اكلا من الشجرة التي نهاهما عنها بدت لهما سوءاتهما فبدءا يخصفان عليهما من ورق الجنة في قوله تعالى ((**فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءا تهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و ناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**)) في سورة الأعراف وهذا ما يأكد لنا أن الانسان لم يعرف العري بل كان يريد ان يستر نفسه

وتناولت في البحث مادة الصوف والتي تعتبر من المواد الأساسية في صناعة الكسوى والملبوس وامور أخرى عديدة وتستخدم في حياتنا اليومية بشكل عام اكتسب الصوف أهمية بالغة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبلاد الرافدين ، تجاري متطلبات الحيات اليومية المختلفة من ملابس وسجاد وقطع تكميلية كالأثاث وستائر وخيام و امور أخرى مثل صناعة الحبال وما الى ذلك ، إذ لا تقل حاجة الانسان لهذه الأمور وخصوصا الملابس والكساء عن حاجته للغذاء والشراب زودتنا التنقيبات الاثرية من مواقع عديدة من عصور مختلفة لبلاد الرافدين ، باقراص المغازل وثقالات النسيج المختلفة استند عليها الأثاريون كدليل مادي واضح على وجود حرفة النساجة كما ذكرت النصوص المسمارية

وهناك إشارات عديدة واضحة تؤكد عمليات النسيج و ورش العمل واعداد المنسوجات والسجاد ولكن في حقيقة الامر تعذر وصول البقايا من هذه المواد نظرا لطبيعة تربة بلاد الرافدين الرطبة التي تحول بيننا و وصول اي اثار مادية مصنوعة من مواد عضوية وعلى وجه الخصوص الجلد والصوف لاعتبارهما مواد شديدة التاثر و التلف بسبب الرطوبة والاملاح إضافة الى ان النصوص المسمارية تحدثت عن تفاصيل كثيرة توضح عمليات جز الصوف لعمل المنسوجات ، وبالتالي الحصول على مواد مختلفة في الإفادة منها كمادة خام تسد حاجات المجتمع في كثير من النواحي الهامة .

المقدمة

ان الحياة في بلاد الرافدين قديما كما هي اليوم تعتمد على العديد من المقومات الأساسية والتي يتحتم وجودها كأساسيات للحياة الطبيعية ومنها المنسوجات التي تعتمد بشكل أساسي على الصوف كمادة أولية لهذه الصناعة و يطلق على الصوف باللغة الاكدية مصطلح (sipatu) و باللغة السومرية (SIG)[١] و تتميز المنسوجات بأهمية بالغة ، إذ ان حاجة الانسان الى المنسوجات لا تقل أهمية عن أي حاجة رئيسة أخرى كالغذاء والشراب و بناء المساكن والحاجة للمنتجات الصوفية باختلاف أنواعها من منسوجات وسجاد وخيام وقطع تكميلية لبعض أنواع الأثاث ولاسيما النوع الأول منها وهذا ما يصحح بعض النظريات الخاطئة التي تتحدث عن الانسان في بعض العصور القديمة وتوصفه أنه كان لا يعرف الملابس وكان انسانا عاريا ولكن الحقيقة تفرض نفسها وتثبت عكس ذلك من خلال النص القرآني في قوله تعالى((**فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءا تهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و ناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**))[٢] فيتضح من خلالها ان سيدنا ادم عليه السلام أبو البشر لم يعرف العري قط منذ خلقه في الجنة عدا فترة قليلة عند هبوطهما ثم طفقا يقطفا من ورق الأشجار ليواريا سوأتهما هو وزوجه امنا حواء ، ولذا فإن الملابس وصناعتها قدمها قدم الوجود البشري على الأرض والذي نعنى به في هذه هو الصوف ومجالات استخدامه .

والصوف من الناحية العلمية هو شعر حيواني متطور بوجه خاص، وهو مكون أساسا من مادة مركبة من الكرياتين والبروتين ناتجة من تسلسل مجموع ٢١ حامض اميني شبكي الشكل [٣]، وهو مادة اقتصادية مفضلة في الدرجة الأولى في صناعة المنسوجات وتعد من اهم المواد الأولية في هذا المجال ولا شك أن حاجة الإنسان الى الصوف في كثير من المجالات ولاسيما صناعة المنسوجات كانت ملحة وضرورية خاصة مع التغيرات المناخية في أجواء بلاد الرافدين قديما وحديثا .

الصوف في العراق القديم

كان لاستخدام الصوف كمادة أولية أهمية بالغة في المنسوجات فكان يحتل المرتبة الأولى من بين المواد الأولية الأخرى مثل الكتان والحرير والقنب ، وكانت صناعة المنسوجات تتميز بأهميتها البالغة عن غيرها من بين صناعات ذلك العصر والدليل على معرفة هذا النوع من الصناعة هو ما زودتنا به التنقيبات الاثارية من مواقع عصور ما قبل التاريخ والعصور التي تليها بالكثير من أقراص المغازل وثقالات النسيج وتؤكد ذلك أيضا ما ذكرته النصوص المسمارية في هذا الخصوص وفي مجالاته المختلفة ، إضافة لما ورد من منحوتات على طبعات الاختام من مشاهد النساء العاملات بالغزل والحياكة .

ومن المعروف عن تقاليد المجتمع الدينية في بلاد الرافدين انهم كانوا يجعلون لكل حرفة او صفة إلهة حامية(حارسة) وتعتبر صناعة النسيج من الصناعات المهمة فجعلوها تحت حماية الهة عرفت بالسم(UTTU) و اما الصوف فكان له إلهة خاصة وتدعى (nin–sig–ga) أي سيدة الصوف [٤]، وان أهمية الصوف في بلاد الرافدين تظهر واضحة من تسميتهم للشهر الذي يتم فيه جز او نتف الصوف من كل سنة باسم (itu ga –udu–ur(ra)–ka) أي (حظيرة نتف الصوف)في التقاويم ما قبل السرجونية في كرسو ،وهو الشهر الخامس حسب تسلسلها [٥].

كما ان لعملية جز الصوف مراسيم معينة تتم في الشوارع والساحات العامة إذ تؤكد ذلك احد نصوص اور الثالثة ، وفي الفترات اللاحقة باتت عملية جز الصوف تتم في أماكن خاصة حسبما ذكرت في النصوص بالكدية تدعى (bit gizzi) وبالسومرية(E .ZU .SI.GA) أي بيت الجز[٦]، وكانت عمليات جزالصوف في بادئ الامر تتم تحت اشراف المعبد ثم أصبحت فيما بعد تحت اشراف القصر، وان احد الأشهر كان يسمى بشهر جز الصوف [٧].

إنتاج الصوف

ان سكان بلاد الرافدين تنبهوا لأهمية الصوف الاقتصادية منذ عصور مبكرة في حضارتهم فاولوها اهتماما كبيرا في حياتهم وبهذا نجد ان تربية الأغنام حظيت بنصيب وافر العناية فكان لديهم بهذا أنواع عديدة من الأغنام والماعز وبأعداد كبيرة جدا في كل من بلاد بابل واشور [٨]،

حيث تذكر الوثائق المسماريةمن عصور سلا لة اور الثالثة بان هناك ستة أنواع من الخراف التي كانت تربى قد خصصت نوعين منها لانتاج اللحم و أربعة لإنتاج الصوف وهي:-

الخراف ذات الإلية	gukkal	UDU. GUKKAL
الخراف الجبلية		UDU. KUR.RA
الخراف نوع	uliga	UDU.ULI.GA
الخراف نوع	elum	UDU.NA.LU [٩]

اكدت لنا النصوص ان النوع الأول (gakkal) هو أفضل أنواع الصوف من حيث النوعية ، و يلاحظ في الفترات الاشورية عرف التعبير الرمزي وهو (الأسود) إشارة الى شعر الماعز و (الأبيض)إشارة الى صوف الأغنام وهناك عدة نصوص تؤكد ذلك فنجد نص يتحدث عن اعداد الخراف يرد فيه التعبير المجازي :-

((٤٥٦٣ رأس من الخراف البيض

٢٧٦٠٠ نعجة

١٧٠٨٤ راس من الخراف (السود)الماعز

٩٩٣٩ راس من الخراف الصغيرة الحملان)).[١٠]

كما يدل النص السابق في محواه إشارة الى كمية الصوف التي كانت تنتج .

وكان من المعتاد عند سكان بلاد الرافدين توسم الأغنام بوسم مالكها في حالة القطعان الكبيرة حيث كانت حيوانات المعبد توسم برمز آلهة المعبد وبهذا تكون القطعان التي تعود للإله مردوخ توسم بعلامة المجرفة والتي تعود لمعابد الاله عشتار توسم بعلامة النجمة ، وفي حقيقة الامر ان في هذا العرف امتداد يصل الى بداية الحرب العالمية الأولى حيث كانت القطعان التي تعود الى السلطان العثماني توسم بعلامة الهلال [١١]، وكذلك فإننا لازلنا نرى بعض اشكال الوسم في القطعان الكبيرة من الأغنام حيث يقوم مالكها بوضع الوسم بلون محدد ومكان محدد من جسم الخروف حتى تكون إشارة ثابتة على عائدية الخروف الى هذا القطيع .

وهناك خمسة أنواع من الصوف عرفت في العراق القديم من حيث الجودة أولها النوع الملكي والخامس الاعتيادي فضلا عن الصوف الخشن الغير مصنف والذي كان معروفا في فترة اور الثالثة [١٢]، ومن اشهر أنواع الصوف المستعمل وهو الصقيل و الارجواني المصبوغ [١٣] و نوع

(الكي) الخشن و غالبا ما كان يستعمل حصصا عامة اي كاجر يعطى للعاملين او يستخدم هذا النوع من الصوف لصناعة الثياب الخشنة [١٤].

جرت العادة في بلاد الرافدين في طريقة جز صوف الأغنام بالطرق الاتية و تتلخص باستخدام مقص خاص اما عن الأغنام المذبوحة فتزال أصوافها بطريقة النتف او بواسطة آلة حادة ويكون جز الصوف عادة بمراسيم وطقوس خاصة ، وتتم هذه المراسيم عادة في الشوارع والساحات العامة ويؤكد ذلك احد النصوص المسمارية التي تعود الى فترة اور الثالثة والتي تذكر ((أصواف الخراف التي عليها ضريبة gu–na قد جزت في الشارع))وفي الفترات التي تلي فترة اور الثالثة وردت إشارات الى استخدام بيت اكيتو كأماكن لجز الصوف ، وبعد الانتهاء من عملية الجز المعتادة يغسل الصوف ليفقد ما تبقى به من شحوم وبقايا المواد الدهنية وبقايا أخرى حيث يعرف بما يسمى بالصوف المغسول بمصطلح (gibil sig) أي الصوف الجديد[١٥].

تجارة الصوف

تضافرت جهود التجار العراقيين منذ القدم للوصول الى حالة التكامل الاقتصادي فتاجروا بمواد مختلفة من بينها الصوف في اكثر من حالة، سواء كان مواد خام او منسوجات اوصناعات أخرى إذ اننا نجد واردات وصادرات الصوف من بلاد بابل واشور كما اسلفنا ان هناك أنواع مختلفة من الصوف من حيث الجودة العالية والكمية المنتجة ويهدف عادة المستورد لسد الغرض في الحصول على المادة هذا في حالة التجارة الداخلية اما على صعيد التجارة الخارجية فقد تاجر الأشوريون مع اسيا الصغرى بمواد عديدة ومن ضمنها المنسوجات فكانت اما بشكل ملابس او قطع من نسيج بقياسات خاصة وهذه القطع اما كانت تنتج في بلاد اشور او مستوردة من بلاد بابل وتذكر احدى الرسائل الاشورية ان المنسوجات التي كانت تعمل في بلاد اشور ليست كافية لتؤدي الكمية المطلوبة بل كثيرا ما كانت ترسل كميات من الصوف الخام من أسيا الصغرى إليها ، وكان العاملون في النسيج يضعون بعض الأسماء على قطع المنسوجات ومن بينها ما ورد اسمه ب(الكيتا فوم) وهو على الغالب نوع من الابسطة وكانت أسعار المنسوجات متفاوتة بحسب الجودة واستخدم التجار الاشوريون في اسيا الصغرى عدة أسماء للمنسوجات تبعا لوصف المنسوج ومنها (قوي ، سميك ، ناعم ، مقصوص ، واسع) وكان لها في العادة الوان مختلفة وأهمها الأبيض والاحمر والاصفر والارجواني وكانت المنسوجات عادة تعرف باسم

مصدرها [١٦]. وبهذا احتل الصوف المرتبة الأولى من بين المواد الخام التي تدخل في صناعة النسيج [١٧] .

كما تذكر النصوص الاقتصادية متاجرة حكام اور الثالثة أمثال (ابي سن) مع (مكان) البحرين حاليا بارسال الملابس الصوفية مقابل استيراد النحاس [١٨]، ويؤكد لنا نص مسماري من أسطورة انكي الحصول على الصوف كإتاوات من بلاد عيلام وذلك ورد النص بالصيغة الاتية :-

((عسى ان تجلب اليك بلاد عيلام الصوف (؟).....و اتاوات ثقيلة)) [١٩].

صناعة الصوف

تعد بلاد سومر وبابل وأشور من اكبر المراكز الصناعية لإنتاج المنسوجات الصوفية وكذلك من الناحية التجارية فكانت ألاف الأطنان من الصوف تنتج سنويا في مدينة اور وحدها فكانت تربى قطعان كبيرة جدا من الأغنام والماعز من اجل الحصول على الصوف حسبما تذكر المصادر المسمارية وكانو يعتمدون في جز الصوف طريقة النتف ويستخدمون المغزل في غزل الصوف وكان النسيج يحاك على النول وفي المعتاد تقوم بعميلة الغزل والحياكة على النول فرقة مكونة من ثلاث نساء وكن يستغرقن في العمل مدة ثمانية أيام لتحضير قطعة من القماش من ابعاد ٣،٥ * ٤ متر [٢٠].

الغزل و النسيج

عرفت صناعة الغزل والنسيج في بلاد الرافدين منذ القدم فكان الاكساء إحدى أهم متطلبات الحياة الأساسية عند سكان بلاد الرافدين فكانت بلاد سومر في بادئ الامر مركزا مرموقا ومهما لصناعة الغزل والنسيج وعلى وجه الخصوص المنسوجات الصوفية فقد استخدم السومريون وتلاهم في ذلك البابليون و الأشوريون الأنواع الجيدة من الصوف في صناعة المنسوجات الصوفية باختلاف أصنافها [٢١].

اختلفت أصناف العاملين من كلا الجنسيين حسب الحقب الزمنية حيث نجد العاملين في نتف صوف الغنم في العصر البابلي القديم مهمة رجالية عموما ونفس العملية في فترة اور الثالثة كانت تتم حصرا بأيدي عاملات وتذكر إحدى النصوص ان المراقبة كانت من مفتش واحد فقط في حين تسجل نصوص أخرى من ماري في العصر البابلي القديم إضافة ٣٠٠-٤٠٠ رجلا من

المشتغلين الى ١٥٠ ، وهو عدد العاملين ،لأن العدد الثاني بالأصل غير كاف وفي نص من زمن حمورابي يذكر ان ١٠٠٠ رجل هو عدد غير كاف لنتف الصوف السنوي ومن الصعب تحديد نظرة واضحة على طبيعة تبادل أدوار النساء والرجال من حقبة زمنية الى أخرى وذلك لتطلبه دراسة موسعة على كل الحقب في كافة أنواع الصناعات لكي نتوصل الى أجوبة وحلول مقنعة [٢٢].

اما عن الأغلبية فيمكننا القول ان تراجم النصوص المسمارية المكتشفة في بلاد الرافدين تأكد ان حرفة وصناعة الغزل والنسيج الصوفي كانت بالدرجة الأولى بيد الرجال وخاصة في المصانع والورش الكبيرة التي كانت تابعة للمعبد والقصر ، في حين كانت النساء تعمل في الغزل والنسيج لسد الحاجة على نطاق العائلة او أوسع من ذلك بقليل ، كما كانت النساء تعمل باجر في الورش الرسمية التابعة للقصر ويعود تاريخ اقدم القطع المكتشفة من المنسوجات الصوفية الى تاريخ صنعه في العصور القديمة [٢٣].

و تبدأ أولى مهام الصناعة في تسليم الصوف المصنف الى معمل النسيج من قبل مشرفي العمل حيث تبدأ الأعمال للاستعداد للحياكة وتشمل المراحل التي تسبق الحياكة وهي على التوالي غسل الصوف والتمشيط والغزل والتصنيف ولف الخيوط المضعفة (المعدة للنسيج) التمشيط ، والهدف من التمشيط هو تسوية شعيرات الصوف وابعاد الشعيرات القصيرة منها لغرض اعداد صوف متجانس لعملية الغزل ، وتليها عملية الغزل وتذكر النصوص ان المرأة الواحدة تستطيع ان تغزل من ٢–٣ منا من الصوف يوميا أي ما يساوي كيلو غرام واحد ونصف وترتب الخيوط المغزولة بشكل كرات او لفائف من الخيوط التي تتم تضعيفها ودمجها وبعد ذلك تكون الخيوط معدة للنسيج [٢٤].

مصانع الصوف

للأهمية البالغة التي تحتلها المنسوجات وضرورة توفرها بكميات كافية تلبية لكافة الاحتياجات المحلية وكذلك الإعتمادا على الوارد من تصديرها فلا بد ان تدخل المنسوجات الصوفية في ميدان التصنيع وهذا مكان بالفعل موجودا منذ دولة المدن السومرية في كل من (نفر واما ولكش) ومدن أخرى [٢٥] والدليل على أهمية دور النسيج هذه قد حملت بعضها أسماء ملوك السلاله ومنها مصنع شولكي ومصنع شوسين حسبما ذكرت النصوص [٢٦].

ومن أهم مراحل تصنيع المنسوجات الصوفية العمليات التالية متسلسلة:

١- التنظيف
٢- التمشيط
٣- الغزل
٤- القصر (التبيض)
٥- الصباغة
٦- النسيج

التنظيف : و تبدأ هذه العملية بضرب كمية معينة من الصوف الجاف المجزوز و المنتوف بالعصي ليتم التخلص من الأتربة والطين وفضلات الحيوانات العالقة بالصوف ومن ثم توضع هذه الكميات من الصوف في احواض خاصة معدة لغسل الصوف ويعامل الصوف بواسطة الصابون والبوتاس والشب او الشنآن لغرض إزالة العوالق الدهنية والنباتية والاوساخ ويستدل من تراجم بعض النصوص الاشورية استخدام بعض أنواع النباتات والأشجار مثل النخيل واشجار الصنوبر كمنظفات للصوف وذلك لما تحويه من مواد قلوية ،كما عرف الأشوريون منظفات من أصول معدنية ومنها مستخرجات مادة الكبريت[٢٧] .

التمشيط : فهي مرحلة مهمة قبل عملية الغزل فمن خلالها تتوفر لنا من مادة الصوف خيوط مستقيمة ونقية بفعل التمشيط المتكرر الذي يخلص الخيوط الصوف من الشعيرات الصوفية المتنافرة ، ويمشط الصوف عادة بواسطة مشط مقوس سميك وصلد ، تمسك باليد أليسرى خيوط الصوف وتمشط باليد اليمنى[٢٨] ، وهذا نص يتحدث عن كميات صوف مستلمة من الصوف الممشط من اور الثالثة:-

((٣/٢ ٣٣ منا من الصوف الممشط
٨ منا صوف ممشط
لقماش كوزا من الصنف الرابع)) [٢٩]

وبعد عملية التمشيط يصبح الصوف جاهزا لعملية الغزل

الغزل : وتلخص هذه العملية بتقسيم الصوف الى قطع طولية وبرمها ولفها على مغازل خاصة ولعدة مرات بطريقة معينة ،وتتم هذه العملية اليدوية في البيوت او ورش في بادئ الأمر ثم تطورت لاحقا وأصبحت تتم في مصانع كبيرة تعود للمعبد او للقصر كانت تستخدم الايدي العاملة من الرجال والنساء مقابل اجر معين(٣٠).

والمغزل الذي تتم عملية الغزل من خلاله هو عبارة عن عود من الخشب اومن مادة أخرى واغلب المكتشف في التنقيبات كانت مغازل معمولة من الطين المفخور او المجفف بالشمس وفي حقيقة الامر احتفظ المغزل بشكله و وضيفت عمله الى يومنا هذا باختلافات بسيطة في مادة الصنع (٣١) حيث وردة صيغة المغزل بالمصطلح السومري .gis SU.KIN وبالاكدية (suru) وذكرت النصوص المسمارية ان الخيوط المغزولة كانت تعمل على شكل كرات او لفائف من الخيوط المغزولة ومن الأدلة المادية التي تمثل لنا أدوات الغزل لوحة جدارية معموله من النحت البارز من العصر الاشوري الحديث وتبدو فيها امرأة جالسة فوق كرسي بوضعية تقوم فيها بعمل الغزل والتي نعرفها الى يومنا هذا ويشاهد فيها بوضوح المغزل والقرص وخيوط الغزل الملفوفة فوق القرص على جسم المغزل كما يظهر في المشهد بوضوح استخدام المرأة لأصابع قدمها في إدارة الخيوط وبرمها وإدارتها على المغزل بشكل بديع كما يظهر في (الشكل –١–) (٣٢).

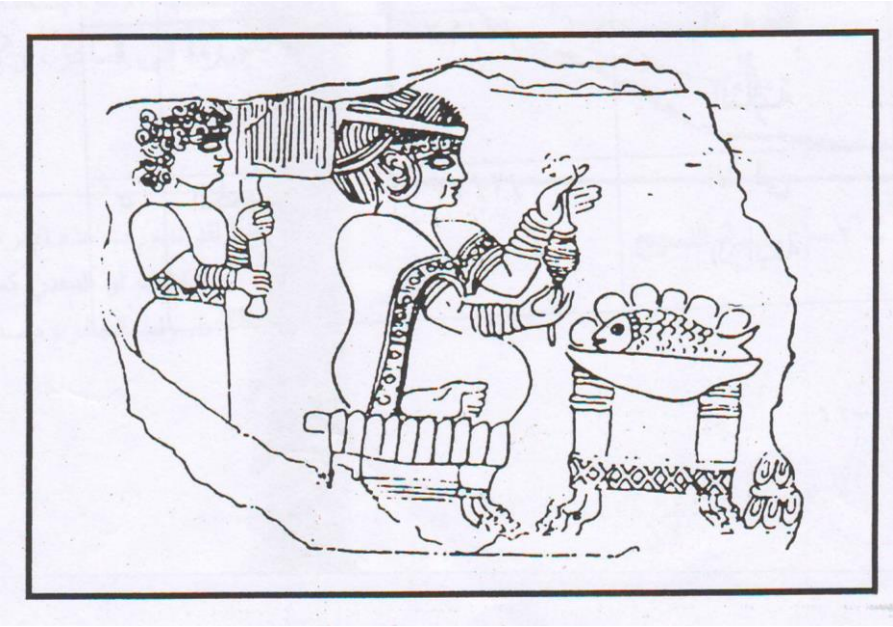

(شكل ١)

قصر الخيوط الصوفية : وهذه العملية تلي عملية غزل الصوف حسب الترتيب وكانت تتم هذه العملية في بادئ الامر في المنازل التي يتم فيها الغزل وبعد ذلك جرت العادة الى قصرها في ورش خاصة وتلوينها واستخدمت لهذه العملية أنواع من الزيوت النباتية التي كانت تستخدم للقصر كما استخدم الصابون على نطاق واسع كما اسلفنا سابقا [٣٣]، وتكون هذه العملية بوضع الخيوط المغزولة في حفر خاصة بالقصر ثم تضرب بالعصي وتنشر بالشمس حيث تتم عملية قصرها وجرت العادة عند بعض الحرفيين المتخصصين في صناعة الأنسجة صبغ خيوط المنسوجات بأساليب خاصة تعطي جمالية لنوع المنسوج [٣٤]، وقد استورد الأشوريون الشب والنطوف من مصر واستخدموها كمواد مثبتة لألوان الخيوط المغزولة وقد عرض اشور بانيبال على مدينة ارواد الفينيقية دفع نوعين من الصوف المصبوغ بالأرجواني الذي يؤتى به من مناطق سوريا .[٣٥]

النسيج : وما يلخص هذه العملية (نسيج الخيوط الصوفية) فتتم بالحياكة على النول سواء أكانت أفقية او عاموديه وكان يقوم بهذا العمل عادة فريق مكون من ثلاث نساء كن يستغرقن في العمل الى حد ثمانية أيام لتحضير قطعة من القماش بحجم ٣،٥ *٤ امتار [٣٦] ، وهذا ما أشارت إليه بعض النصوص المسمارية ،وعلى رغم من أهمية النسيج وذكره في النصوص المسمارية من مختلف العصور الحضارية لبلاد الرافدين الا اننا لم نعثر على دليل مادي لآلة النول الا انال هناك لوح من الطين عثر عليه في العاصمة العيلامية سوسة ينظر (الشكل ٢) الذي يوضح جانبا متكاملا من مصنع خاص بالنسيج على هذه الآلة فتظهر فيه قطعة النسيج مثبتة بين وتديين وقد جلس شخص جلسة القرفصاء على جانبي القطعة وهناك شخص ثالث بهيئة الوقوف رافعا احدى يديه ويمسك بالاخرى دائرة او ثقالة التي بواسطتها يعمل على رفع خيط السداة ومد خيط اللحمة وهذه الطريقة لاتزال معروفة في أماكن معينة من العراق [٣٧]، والنول عبارة عن اطار خشبي تكون أبعاده حسب سعة القطعة المطلوب نسجها وتستخدم إبرة من العضم ام الخشب لتمرير خيط اللحمة بين خيوط السداة وللحرص على تماسك وترتيب خيوط اللحمة ويستخدم مشط من الحديد وله قبضة خشبية او مصنوعة من مواد أخرى ثقيلة لانجاز العملية .

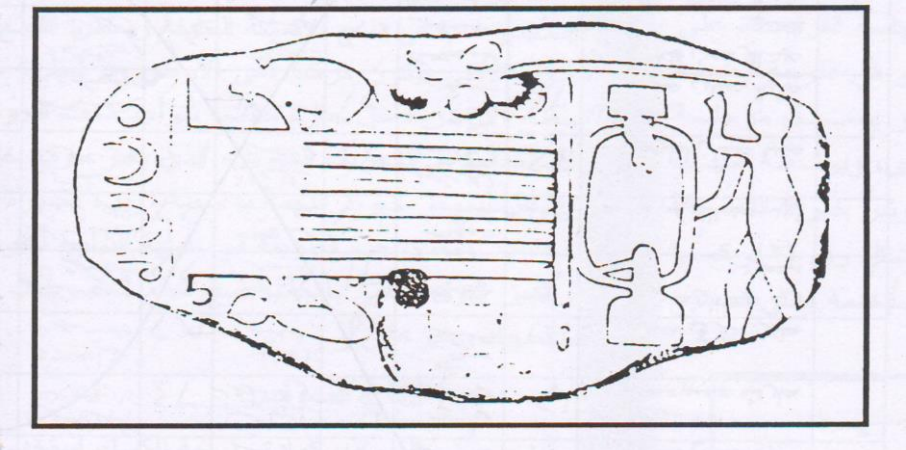

(شكل ٢)

كما يوضح لنا أيضا مشهد لختم اسطواني لنساء عاملات حائكات ويعود هذا الختم لأواخر فترة الوركاء (الشكل ٣) و تذكر النصوص المسمارية أوسع وحدة حياكة في منطقة لكش هي في مدينة كوابا حيث استخدم فيها ٤٢٧٢ حائكة وأكثر من ١٨٠٠ طفل[٣٨] ، وفي المعتاد بعد ان ينتهي النساجون من نسيج الأقمشة الصوفية يكون دور العمل للقصارون بغسل النسيج الصوفي قبل تلوينه ويعني تبييض النسيج بالمواد القلوية وأنواع الصوابين المذكورة سابقا في البحث [٣٩] ، فكان القصارون ينقعون النسيج بهذه المحاليل في احواض واوعية كبيرة ثم يدوسون عليها ويمشون باقدامهم فوق هذه المنسوجات وبعدها تصبح جاهزة لعملية الصباغة والتلوين .

اما عن صباغة النسيج الصوفي : فتحتاج بدورها الى كميات خاصة ذات مراحل مختلفة ومنها مثبتات الألوان ومن بين تلك المواد مادة الشب الذي استخدمت على نطاق واسع لهذا الغرض فهي مادة قاصرة ودابغة مثبتة للون كذلك ورد ذكرها في قوائم النساجين والدباغين كما ذكر في قوائم القصار المدعو abba–kalla كما استخدمت مثبتات الوان من اصل نباتي مثل نبات النيل ولحاء البلوط و الكمون و الزعفران والكركم وقشور الرمان وبعض الازهار المجففة وهذه المواد حسبما ذكرتها النصوص .

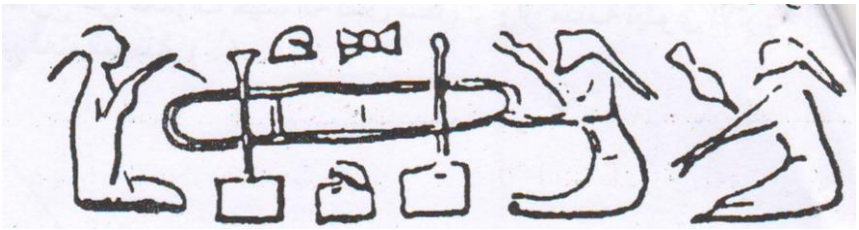

(شكل ٣)

اما عن المثبتات المعدنية فهي اكاسيد الحديد والتي تعطي الون الأحمر إضافة الى استخدام بعض الأحجار مثل حجر ألازورد (الذي يعطي اللون الازرق) وعرف النسيج الملون باسم birmu واذا أراد النساج الحصول على بعض الألوان مثل اللون الرمادي فعليه في هذه الحالة ان يقوم بمزج خيوط بيضاء و أخرى سوداء في عملية النسيج ليعطي اللون الرمادي . [٤٠] حيث كان الحرفيون المختصون يقومون بصباغة الاقمشة في ورش خاصة بهم وكانت تلك الورش موجودة في احياء خاصة في المدينة في مناطق سكنى هائلا الحرفيين، [٤١] ومن امثلة النسيج الملون كما ذكرت النصوص التجارية بين بلاد اشور واسيا الصغرى حيث ذكرت النصوص الصفات لتلك المنسوجات ومن تلك الصفات كانت صفات الألوان حيث ورد ذكر كل من

(الأحمر والاصفر والأبيض والارجواني ..الخ) وكذلك ذكرت حالة الصباغة للمنسوج من جيد الصبغ واعتيادي ومتوسط النوعية [٤٢].

المواد المنتجة من الصوف

اختلفت المواد المنتجة من الصوف وتعددت استعمالاتها بحسب الحاجة لها فنجد الصوف في كل من:-

أولا : نسيج الملابس (الأقمشة)

ان تلك المنسوجات المخصصة لصناعة الملابس في الحقيقة هي أهم أصناف المنسوجات الصوفية وأكثرها شيوعا ، وقد اختلفت أنواع قطع الملابس المعمولة من النسيج الصوفي كما اختلفت أنواعها وأساليب ارتدائها و أكدت ذلك النصوص المسمارية فنجد ملابس الحياة اليومية والملابس الخاصة بالاحتفالات والأعياد الدينية والقومية إننا نجد ملابس خاصة لطرد الأرواح الشريرة حيث يرتديها الفرد في أوقات خاصة او يرتديها البعض عند إصابتهم بمرض معين ومثل هذا الاعتقاد نجده الى الوقت الحالي في بعض الحالات المرضية او لكشف فأل معين وهناك ملابس الباذخة والثمينة التي يقتصر ارتدائها على الملوك والمعبودين(شكل ٤)وتتميز هذه الملابس بوجود الزخرفة عليها ، وجرت العادة على تنفيذ هذه الزخارف على قطع الملابس بخيوط الذهب والفضة والتطعيم بالأحجار الكريمة ، ونخص بالذكر بعض أنواع الملابس المعروفة في العراق القديم ومنها الثوب او القميص والذي يعد من اهم القطع من الملبوس وهو الزي العام لكلا الجنسيين مع اختلاف بسيط بطوله في بعض الأحيان اما القطعة الأخرى فهي الشال او المعطف التي توضع عادة على القميص ويطلق عليها كذلك (القباء)او الزبون[٤٣] .

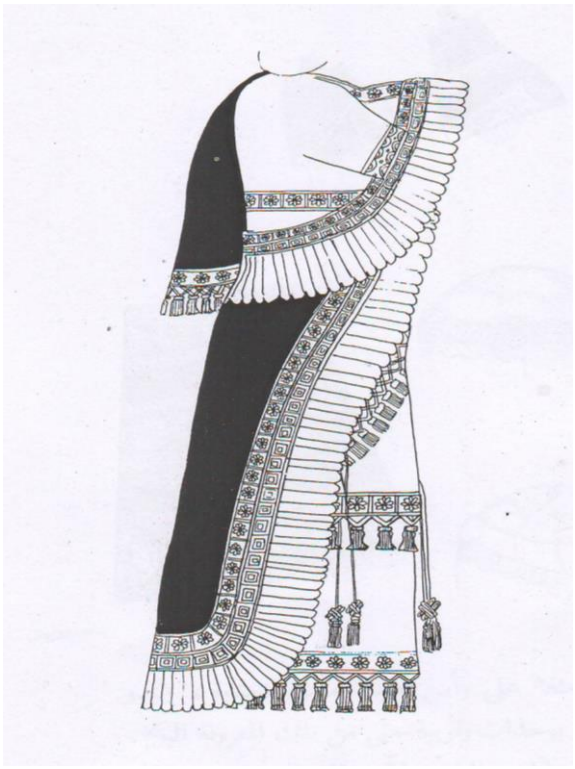

(شكل ٤)

ثانيا : السجاد او الطنافس

تأكد لنا إحدى النصوص البابلية ان الصوف المرسل من بابل يستعمل لبعض أنواع الابسطة وشخصت كلمة mardatum التي تعني بساط ولا نعلم في حقيقة الأمر هل المقصود بساط محاك او مطرز او بساط مخملي مزين بالرسوم والزخارف حيث نجد رسالة من الملك السومري زمري –ليم الى احد الملوك يعلن انه ينوي ان يأخذ بساطا من طراز (يمحد) وهو طراز معين من البسطة تصنع في مدينة ماري السومرية الى بابل وهذا ما يوضح لنا بشكل او بأخر بعض أنواع الهدايا الملكية حيث تعتبر من مواد الترف والرخاء[٤٤] ، ويعتبر السجاد من المكملات الضرورية الضرورية للأبنية الرئيسة عند الأشوريين والبابليين فقد تطور هذا الصنف من المنسوجات متمثلا بدوره مع كافة مجالات تطور العصر الحضارية والمعمارية فنرى هذا التطور معكوسا على أصنافه وأحجامه و طرازه الفنية وزخرفته وتزينه وان وجود هذا النوع من المنسوج لم تكن اتقاء برد الشتاء فحسب بل كانت عنصرا تجميلي وهما ينسب مع مكانة مستخدميه ومظهرهم الأنيق ومكانتهم المرموقة الحضارية بين الأمم الأخرى وكان استخدام قطع السجاد له سمة جمالية و تزينيه خاصة في القصور والمعابد[٤٥] و التي أسهمت بشكل خاص في إعطاء هيبة وجمالية تحاكي اهميتهم السياسية والدينية بين المجتمع الداخلي والخارجي وكانت هذه الصناعة متطورة

عند الاشوريين والبابليين في عصورهم الحديثة بشكل خاص قبل ان تتطور وتنمو لدى الإيرانيين الذين اشتهرو في هذا الجانب من الصناعات في الفترات اللاحقة ، ونجد السبب واضحا في انتقال العديد من الحرفيين المتخصصين بحياكة الطنافس والسجاد الى خارج العراق القديم ومنهم من رحل جبرا الى بلاد فارس و بالاخص الى سوسة عاصمة العيلاميين وذلك بعد مجيء الاخمينيين الى العراق ، وتأكد ذلك إشارة احد الباحثين عن السجاد البابلي الذي ورد ذكرها في كتابات المؤلفين و المؤرخيين الرومان حيث وصف منسوجات معبد جوبيتر في اولمبي (في روما) إنها كانت منسوجة على طريقة النسيج الاشوري وكان تحضير الصوف لصناعة الطنافس معروفا في بلاد الرافدين بشكل مستمر على مر العصور وتنامت هذه الصناعة هذه الصناعة اليدوية في شمال بلاد الرافدين بشكل متميز لتناسب هذه المناطق للرعي والحصول على الأصواف الجيدة وكذلك لقسوة فصل الشتاء والحاجة الماسة لهذه المادة كمادة أساسية لحاجة الفرد تتناسب مع تقدمه الحضاري في كل ميادين الحياة[٤٦].

وان صناعة السجاد اليدوي تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد واستمر وجود السجاد البابلي والأشوري إلى مجيء الإغريق إلى بلاد الرافدين حيث توضح كتاباتهم ما يدل على إعجابهم بتلك السجاجيد وألوانها وزخارفها حيث كانوا يسمونها بالسجاجيد البابلية ، وكذلك توضح لنا المنحوتات الأشورية البارزة رؤية مجموعات رائعة لسروج الخيل التي تبدو كأنها عبارة عن سجاجيد صغيرة مزينة بتطريزات دقيقة بتشكيلات هندسية متشابهة تنتهي بأهداب تشبه أهداب المعاطف والثياب الملكية[٤٧].

ثالثا : الخيام

وتعد الخيام بدورها من المواد المعتمدة على مادة الصوف او شعر الماعز في أساس صناعتها ونسجها بالدرجة الأولى ولهذا يطلق عليها محليا والى يومنا هذا ب(بيوت الشعر) والخيام تعتبر من نماذج المساكن شبه الثابتة او المتنقلة وتستخدم في حالات عديدة في معظم مناطق الشرق الأوسط [٤٨] وقد ميز الأشوريون بالتعبير عن الماعز بالمصطلح (الأسود)والأبيض إشارة الى الخراف [٤٩]، وتحمل هذه الخيام في اغلب الأحيان على زخارف جميلة تشبه الى حد كبير مثيلاتها زخارف المنسوجات من المواد الأخرى سابقة الذكر وظهرت الخيام على المنحوتات ألجداريه تمثل مشاهد للحياة اليومية الأشورية في حالة السلم و الحرب حيث تظهر سميكة ومشدودة على أعمدة وقد وردة إشارات عديدة من بعض النصوص المسمارية تشير الى الخيمة و صناعتها وتذكر كذلك الحبال و الشرائط لربط قطع هذا النسيج (الخيمة) وخاصة عند نصبها بحجم كبير حيث قربوا الشقوق الى بعضها بحلقات تستخدم كالكلاليب المعدنية [٥٠].

رابعا: الأثاث

تعد المنسوجات الصوفية من المواد المهمة التي تدخل في صناعة الأثاث فنجدها تتمثل في عدة أشكال ومن أنواع الفرش والأغطية والوسائد المستخدمة مع أثاث الجلوس والاستلقاء [٥١] ومنها أغطية الأرائك وفرش النوم ومقاعد الجلوس وكذلك الستائر ، وتشير الكتابات المسمارية أيضا الى تخصيص كميات من الذهب لزينة فرش مخصصة للآلهة فضلا عن ذكر فرش عديدة لملوك أشوريين زينت كذلك بحليات ذهبية بشكل نجمات وزهرات صغيرة واشكال أخرى والتطعيم بخيوط الذهب والفضة كذلك تدخل في صناعة النسيج لبعض أنواع الفرش الخاصة [٥٢] ويظهر مشهد لختم اسطواني يعود للعصر الاشوري الحديث نموذج لعرش يغطي سطح مقعده بنسيج خشن على الأرجح كان مصنوعا من الصوف وقد تدلى من النسيج على القوائم الأربعة للعرش ، ويبدو انه كان عرش للملك وليس للالهة وكذلك نلحظ في مشهد اخر للوح فخاري يصور عازفة القيثارة وهي تجلس على مقعد مغطى بنسيج صوفي يتدلى على القوائم [٥٣] وهذه الأدلة تؤكد ان النجار في بلاد الرافديين عرف تطعيم الخشب بمواد أخرى لصناعة الأثاث والارائك المختلفة وقد طعم بدوره هذه الارائك الخشبية بمواد مختلفة من أنواع الفرش الجميل والمزخرف ومواد أخرى عرفت للتزيين مثل العاج والاحجار الكريمة والاصواف والمعادن النفيسة مثل الذهب والفضة وقد ورد الذكر في بعض النصوص التي تذكر تصليح قطع الأثاث التي تحوي على القماش (الدوشمة) وكان مستوى التاثيث المنزلي يختلف بحسب المستوى المعاشي للاسرة ولكن في كل الحالات تستخدم الفرش والمنسوجات ولكن كلا حسب مستواه المعاشي ومن الجدير بالذكر استخدام الفعل (khatu)القريب من العربية للإشارة الى إصلاح هذه المجموعة من الكراسي انفة الذكر [٥٤] ، كما تذكر احد النصوص نوع من الاغطية الصوفية من طراز خاص ذا وجهين حيث يمكن ان يقلب ويستعمل على كلا الوجهين وكا يذكر النص قائمة بأربع اغطية صوفية أخرى من الدرجة الأولى وستائر من طراز خاص ذات وجهين [٥٥].

وقد عرف الاشوريون والبابليون أيضا صناعة سروج الخيل المختلفة والتي تستخدم في السلم والحرب وعند المراسيم الخاصة والاحتفالات وقد ابدعو في صناعتها وتعتبر بحد ذاتها قطع فنية فريدة في وحداتها الزخرفية و أسلوب صناعتها [٥٦](الشكل٥)

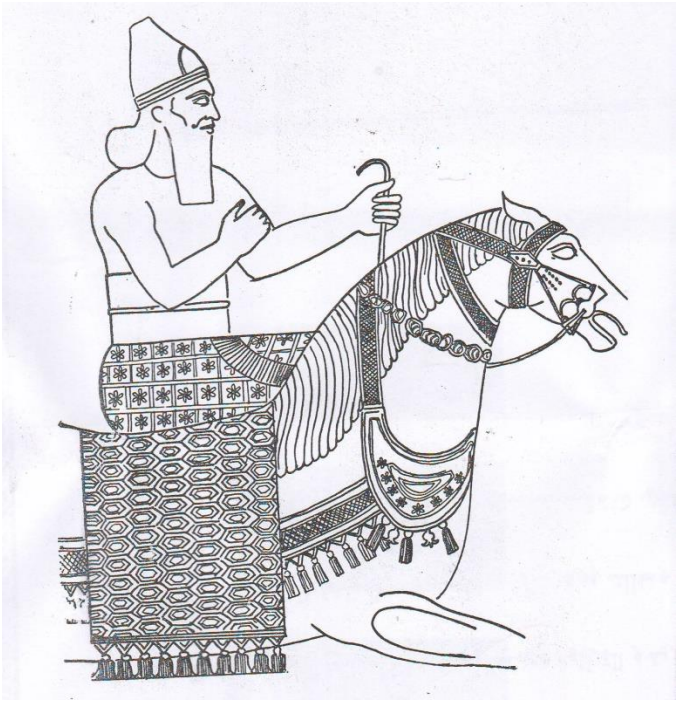

(شكل ٥)

العناصر الزخرفية المتمثلة على المنسوجات

لقد أجاد الحرفيون كما توضح ذلك المنحوتات الجدارية تزيين المنسوجات بالعناصر الزخرفية العديدة حيث نفذوا أشكال من صور أدمية وحيوانية ونباتية وهندسية جميلة جدا وكانت زهرة اللوتس وزهرة الربيع اللؤلؤية (زهرة البابنك) ومن العناصر الزخرفية النباتية المهمة التي ظهرت على المنسوجات ولاسيما ملابس الملوك والقادة الآشوريين فنجدها في أهداب تزين أطراف الملابس وخصوصا حافاتها السفلى أمثال حافات الملابس الملكية(شكل ٤) و كذلك عملت أهداب للسجاد و الطنافس[٥٧] وكانت بعض الثياب تزين بخرز او (ترتيرات) مصنوعة من احجار كريمة او من المعادن الثمينة وكشفت التنقيبات في اسيمهويوك في الاناضول قماش مزين بخرز صغيرة ويمكننا ان نربط هذه اللقية الاثرية برسالة لاحد ملوك تحوي على مصطلح تقني فسر حديثا الذي جاء فيه:

((ارسل لي سريعا الثياب المزخرفة وغير المزخرفة ، التي صنعتها))[٥٨]

ملحق مصطلحات خاصة بعملية الغزل والنسيج

ت	المعنى العربي	المصطلح الاكدي	المصطلح السومري	الملاحظات
١	عاملات نتف الصوف	Geme –us – bar	GEME	
٢	نسيج صوفي		SIG	اور الثالثة
٣	الملابس الصوفية		TUG	اور الثالثة
٤	جز الصوف	Napasu	PES	
٥	بيت الجز	Bit gizzim	E.ZU.SI.GA	
٦	التمشيط	Masad/tu	gis GA.ZUM.AG gis GA.ZUM.SI.AKA	
٧	الغزل	Pitiltu	GU.SIR GU.KESDA	
٨	المغزل	Suru	gis SU.KIN	
٩	القصار	Aslakk	AZLAG	
١٠	بيت النسيج	bit ispari	E .US.BAR	

الهوامـــــش

[١]) لابات .رينيه ،قاموس العلامات المسمارية ، ترجمة وليد الجادر واخرون ،بغداد، ٢٠٠٤ ،ص٣٩٤.
[٢])سورة الأعراف الاية ٢٢.
[٣]) برديكو . ماري ،الحفظ في علم الاثار ترجمة ، محمد احمد الشاعر ، القاهرة ،٢٠٠٢ ،ص٣٢٨.
[٤]) Waetzoldt,T,Untersuchengen zur Neasumerischen Textilindustrie,1972,p.3

[٥]) بوتس . دانيال ،حضارة وادي الرافدين الأسس المادية ،بغداد ،٢٠٠٦، ص ١٤٨.
[٦]) متولي .نوالة احمد ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية ،بغداد ،٢٠٠٧ ، ص٢٦٧.
[٧]) الجادر . وليد ،الصناعة ، موسوعة الموصل الحضارية ، موصل ، ١٩٩١،ص٢١٠
[٨]) كونتينيو . جورج ،الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، بغداد ، ١٩٨٦،ص ١٠٩.
[٩]) متولي .نوالة احمد، مصدر سابق ، ص٢٦٥
[١٠]) اسطيفاني .صباح ،الصناعة في تاريخ وادي الرافدين ، بغداد ،٢٠٠٢ ،ص٦٧-٦٩.
[١١]) كونتينيو. جورج ، مصدر سابق ، ص١١٠.
[١٢])بوتس .دانيال ،مصدر سابق ، ص١٤٨.
[١٣])كونتينيو .جورج ، مصدر سابق ،ص١٦٨.
[١٤]) بوتس .دانيال، مصدر سابق ،ص١٤٩.
[١٥]) متولي . نوالة احمد ، مصدر سابق ،ص٢٦٧.
[١٦])الأحمد .سامي سعيد ، التجارة ،موسوعة الموصل الحضارية ،موصل ،١٩٩١، ص١٩١.
[١٧]) كنتينيو .جورج ، مصدر سابق ، ص٢١٩.
[١٨])متولي .نوالة احمد ،مصدر سابق ،ص٢٣٦.
[١٩])كريمر .صوموئيل نوح ،السومريون ،بيروت ١٩٧٣ ،ص٤٠٣.
[٢٠]) كريمر.صوموئيل نوح ، مصدر سابق ، ص١٣٧.
[٢١])اصطيفاني . صباح،مصدر سابق ،ص٦٣.
[٢٢])بوتس. دانيال ،مصدر سابق ،ص١٥٠.
[٢٣]) اصطيفاني .صباح ،مصدر سابق ،ص ٦٤.
[٢٤])متولي. نوالة احمد ، مصدر سابق ،ص ٢٦٨.
[٢٥])الجادر .وليد ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتاخر ، بغداد ، ١٩٢٧، ص٣٩.
[٢٦])مصدر نفسه ،ص٢٦٤.
[٢٧]) اصطيفاني .صباح، مصدر سابق ، ص٧٠،وينضر كذلك :الأحمد سامي سعيد.مصدر سابق ،ص١٩٤.
[٢٨]) الجادر .وليد ،مصدر نفسه ،ص٢١١.
[٢٩]) متولي.نوالة احمد،مصدر سابق،ص٢٧١.
[٣٠])اصطيفان ،صباح، مصدر سابق ،ص٧١.
[٣١])الجادر .وليد ،مصدر سابق ،ص٢١٠.
[٣٢])اصطيفاني .صباح،مصدر سابق ،ص٦٥.
[٣٣])الأحمد. سامي سعيد، مصدر سابق،ص١٩٤.
[٣٤])اصطيفاني .صباح ،مصدر سابق،ص٧٢.

[٣٥])الأحمد.سامي سعيد، مصدر سابق،ص١٩٤.
[٣٦])كريمر .صوموئيل ، مصدر سابق ،ص١٣٦_١٣٧.
[٣٧])متولي.نوالة احمد،مصدر سابق ،ص٢٧٣.
[٣٨])اسطيفاني ،صباح ،مصدر سابق ،ص١٥٢.
[٣٩]) الجادر.وليد ، مصدر سابق ، ص٢١١.
[٤٠])متولي .نوالة ، مصدر سابق، ص٢٧٢.
[٤١]) اسطيفاني . صباح مصدر سابق.ص٧٢.
[٤٢])الأحمد . سامي سعيد، مصدر سابق ، ص١٩١.
[٤٣])الجادر . وليد ،مصدر سابق ،ص ٢١٢.
[٤٤])دالي . استيفاني ، ماري وكرانة ،ترجمة :كاظم سعد الدين ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص ٨٧.
[٤٥])اصطيفاني .صباح، مصدر سابق،ص٧٦.

[٤٦]) الجادر .وليد مصدر سابق ، ص٢١٤.
[٤٧]) اصطيفاني . صباح ،مصدر سابق ،ص٧٦-٧٨.
[٤٨])الجادر . وليد ،مصدر سابق ،ص ٢١٣.
[٤٩])اصطيفاني.صباح ،مصدر سابق ،ص٦٧.
[٥٠])الجادر. وليد، مصدر سابق ، ص ٢١٣.
[٥١]) عبد الكريم .ياسمين ،الأثاث في العصر الاشوري الحديث ،بغداد ، ٢٠٠٩،ص٥٦.
[٥٢])الجادر .وليد ،مصدر سابق ، ص ٢١٢.
[٥٣]) عبد الكريم . مصدر سابق ،ص ١٢٣.
[٥٤])الجادر . وليد، مصدر سابق ، ص ٢١٠-٢١٢.
[٥٥])دالي . استيفاني ، مصدر سابق، ص٨٧.
[٥٦])الجادر .وليد ،النسيج والصباغة ،حضارة العراق القديم،ج٤، ١٩٨٥، بغداد ، ص٣٩٦.
[٥٧])الجادر وليد ،مصدر سابق ، ص٢٤١.
[٥٨])دالي. استيفاني ،مصدر سابق ، ص٨٩.

قائمة المصادر

١- الأحمد .سامي سعيد ، التجارة ،موسوعة الموصل الحضارية ،موصل ،١٩٩١.

٢-اسطيفاني .صباح ،الصناعة في تاريخ وادي الرافدين ، بغداد ،٢٠٠٢.

٣- برديكو . ماري ،الحفظ في علم الاثار ترجمة ، محمد احمد الشاعر ، القاهرة ،٢٠٠٢

٤- بوتس . دانيال ،حضارة وادي الرافدين الأسس المادية ،بغداد ،٢٠٠٦.

٥- الجادر .وليد ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتاخر ، بغداد ، ١٩٢٧،

٦- الجادر . وليد ،الصناعة ، موسوعة الموصل الحضارية ، موصل ، ١٩٩١

٧- الجادر . وليد ، الأزياء والاثاث ، حضارة العراق القديم ، ج٢ ، ١٩٨٥ ،بغداد .

٨- الجادر .وليد ،النسيج والصباغة ،حضارة العراق القديم،ج٤، ١٩٨٥، بغداد ،

٩- دالي . استيفاني ،ماري وكرانة ،ترجمة :كاظم سعد الدين ، بغداد ، ٢٠٠٨ ،

١٠- عبد الكريم .ياسمين ،الأثاث في العصر الاشوري الحديث ،بغداد ، ٢٠٠٩،

١١- كريمر .صوموئيل نوح ،السومريون ،بيروت ١٩٧٣.

١٢- كونتينيو . جورج ،الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، بغداد .

١٣-لابات .رينيه ،قاموس العلامات المسمارية ، ترجمة وليد الجادر واخرون ،بغداد، ٢٠٠٤ .

١٤- متولي .نوالة احمد ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية ،بغداد ،٢٠٠٧ .

١٥- Waetzoldt,T,Untersuchengen zur Neasumerischen Textilindustrie,1972,p.3